الدُّرُّ المَنضُود

فِي أخبَارِ قَبرِ وَزِيَارَةِ النَّبِيِّ هُود



بِقَلَم

فَهْمِي بن عَلِي بن عُبَيدُون التَّرِيمي الحَضرَمِي

الدُّرُّ المَنضُود

في أخبار قبر وزيارة النبيِّ هود

بقلم
فهمي بن علي بن عبيدون التريمي الحضرمي

دار الفقيه
للنشر والتوزيع

الطّبعَة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الفقيه للنشر والتوزيع

الجمهورية اليمنية

تريم ـ حضرموت

تليفون/ ٤١٦٩٦٧ ٥ ٠٠٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الكريم المعبود، الواحد الأحد الموجود، والصلاة والسلام على أشرف أهل الوجود، سيدنا ونبينا محمد المحمود، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والنبي هود، وعلى آل بيته معادن الكرم والجود، وعلى صحابته الرُّكَّع السجود، والتابعين لهم بإحسان إلى اليوم الموعود؛

أما بعد:

فإنَّ الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء الكريم، هو بحثٌ مختصرٌ لطيف حول موضوع: (زيارة قبر النبي هود عليه الصلاة والسلام)، والتي اعتاد أهل اليمن لا سيما أهل الجهات الحضرمية منها ـ منذ مئات السنين ـ على ترتيب زيارة سنوية تقام حول الضريح المبارك في المكان المعروف بوادي الأحقاف بحضرموت، وتعقد خلال هذه الزيارة اجتماعات إسلامية عظيمة، تجمع جملة من علماء البلاد، وغيرهم من الوفود، حيث يتداولون فيما بينهم قضايا إسلامية مهمة.

ويعتبر هذا الكتاب الذي بين أيدينا محاولة جادة لوصف هذه الاجتماعات المشهودة، والتعبير عن بعض النيّات والمقاصد

التي عقدها السلف الصالح لهذه الزيارة، فنجد أن الكاتب قد بدأ بالحديث عن النبي هود عليه الصلاة والسلام وعن نسبه وصفاته... ثم انتقل للحديث عن قومه... ثم عن وادي الأحقاف... وهكذا نجده ينتقل إلى عدة مباحث مهمة ومتنوعة ومختصرة وذات صلة وثيقة بالهدف المنشود من كتابة هذا البحث...

ونحن بدورنا نتوجه بالشكر للكاتب ولكل من بذل جُهداً لخدمة هذا الكتاب، ونسأل المولى جلَّ وعلا أن يجعل هذا العمل بادرة خير تُفتح من بعدها أبواباً للبحث الموضوعي الهادف، والذي يُوَّضح لأبناء هذا الجيل ما كان عليه سلفهم الصالح من مقاصد ونيّات عظيمة تخدم هذا الدين وتنشر تعاليمه السامية بشتى الطرق والوسائل المختلفة.

وفي الختام نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا مقبولاً لديه، وخالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الناشر

١١/ رجب/ ١٤١٩هـ

الاستهلال:

مَواطِنٌ فَاضتْ رِحَابُهَا بالوَافِدِين ......
وَتَعَطَّرَت شِعَابُها بأنفاسِ العَابِدِين .....
وَدَنَتْ الأَرْضُ مِنَ السَّمَاء .....
وألتَقَى الصَّفَاءُ بالصَّفَاء .....
وَخَشَعَتْ القُلوبُ وَعَنَتْ الوُجُوه للحيِّ القيومِ ... فَلا تَسْمَع إلَّا هَاتِفًا بِدُعَاء .... وَمُسَبِّحًا بِنجوى .... وَمُتَعَطِّرًا بِطاعَةِ المولى جَلَّ وَعَلا .....

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

الحمد لله فاتح أبواب الفضل الذى تقصر العقول عن إدراكه، ومنجي من تمسك بعروة رجائه من هلاكه، والمؤذن للملتجي إليه بخلاصه من فتنه وآفاته وفكاكه، هو الواحد الذي لا ملجأ لعبده ولا منجى منه إلا إليه، والرب الذي لايكون تعويله في الدنيا ولافي الآخرة إلا عليه، سعادتنا بالوقوف على بابه، والنزول في رحاب أحبابه، والتمسك بأذيال كتابه، وما دعانا إليه حبيبه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وورثته من بعده المقتفين لهديه المتأدبين بآدابه، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك المعبود، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله زين الوجود، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله بعدد كل موجود.

أما بعد: فحديثنا في هذه الورقات حول نبي الله هود عليه الصلاة والسلام، من حيث إثبات وجود قبره بحضرموت في الموطن المعروف، وعن الزيارة التي تعقد له في هذا الموطن، والتي يحضرها الجمع الكبير من أهل حضرموت وغيرهم من مختلف بلاد المسلمين، وقد كانت هذه الزيارة من ترتيب الأئمة

الأعلام، من العترة الطاهرة ومن معهم من مشائخ الدين، الذين أنوارهم في الوجود ظاهرة، وللأقطار في مشارق الأرض ومغاربها باهرة، فهم أهل السنة والجماعة، كلهم على طريقة واحدة في محبة هذه الخيرات، والإجتماع في هذه المجامع المباركات، على هذه الأعمال والأقوال، وهي أمور تسلسلت من عند نبينا في حياته صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، فإن أريد تهديم أصول سنته بإدعاءات وغيرها؛ فلتسمُ قلوبكم لطلب المرافقة لخير فريق، ولتتيقنوا أنه الصادق في كل ما أنبأكم به على التحقيق، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله فاشربوا من رحيق تصديقه والثقة بقوله ما تنتقلون به من هذه الدائرة الضيقة النازلة الهابطة إلى الدائرة الرحبه الواسعة، حيث تلتقي الأرواح بالأرواح، في مراتب القرب من الفتاح، ومراتب الصلاح والإصلاح، ومعاني التقرب إلى المولى جل جلاله بصدق الوجهة إليه، وهناك تبدو أنوار الإيمان، هذه الأنوار لا يجدها أهل الدائرة الضيقة، فشغلهم تضليل هذا، وتضييع هذا وأذا هذا، فكذلك يحيون وعليه يموتون تمر حياتهم لا تهب

عليهم نسمة من نسمات الإيمان، ولا يهب عليهم معنى نور من أنوار الإحسان، فهم بعيدون عن شرح الصدور، بعيدون عن إدراك هذا النور، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.

فهذه الزيارة يتوجه المتوجهون إليها لا من مائة سنة، ولا من مائتي سنة، ولا من ثلاثمائة، ولا من سبعمائة، بل كان المتوجهون من المؤمنين يتوجهون أعداداً كثيرة وأصنافاً مختلفة من أقطار متباعدة، منذ المئات من السنين بل منذ ما يزيد على الألف من السنين، بل من بدء إنتشار نور الإسلام، بالنسبة لزيارة المسلمين، بل كانت الوفود ترد قبل الإسلام، وبعثة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

أما أعداد الزوار من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين واللغويين والعارفين والزاهدين والمتواضعين والخاشعين والمتأدبين مع الله الذين وردوا فعدد لا يحصيه كاتب، ولا قائل ولا خيال لمتخيل، فقد كثرت الأعداد التي وردت لهذه الزيارة، من أهل الحديث ومن أهل الفقه، ومن أهل اللغة، ومن أهل المعرفة بالله، ومن أهل الزهد، ومن أهل الآداب، ومن

أهل حسن الصفات، والأخلاق، رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم أعداد لا يحصون تشهد بهذه الأخبار وكتب التاريخ والآثار، حتى لقد يجتمع في الجلسة الواحدة من تلكم المجالس مئات البالغين درجة الإفتاء في فقه الشريعة المطهرة، من أهل مدينة تريم وغيرها؛ كانوا حريصين حرصاً كبيراً على زيارة نبي الله هود عليه السلام في الأيام المعهودة.

فقبل قرون مرت كان يدخل الداخل إلى تريم فينظر إلى الصف الأول في الجامع فيجد كل واحد منهم قد بلغ درجة الفتوى في فقه الشريعة من أول الصف إلى آخره! حتى بلغ عددهم في وقت واحد ثلاثمائة وستين مفتياً في وسط تريم وحدها، فرضي الله عنهم وأرضاهم؛ كل أولئك كانوا حريصين على هذه الزيارة، وكانوا مهتمين بشأنها ومعظمين لمقدارها، لما شهدت به النصوص من الفضائل، التي وعد بها، النبيُ الأمين للذين يجتمعون لذكر رب العالمين والمتآخين والمتحابين والمجتمعين على ذكر الأنبياء والمرسلين لا سيما رسوله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله.

وقد آن أوان الشروع في المقصود فنقول مستعينين بالله:

نسب سيدنا هود عليه السلام

نبي الله هود عليه السلام على ما قاله الأكثرون هو : ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ويقول نشوان بن سعيد : هود النبي بن عامر بن شالخ بن ا زفحشد فخشد بن سام بن نوح إلى شيث بن آدم أبو البشر، ويقول الإمام العارف بالله عبد العزيز الدباغ : ونسبه هود بن عابر بن شياع بن الحارث بن كلاب بن قيدار ابن اسماعيل[1].

ويقول الهمداني في نسبه خمسة أقوال ذكر ذلك في الإكليل .

بعض صفاته وخواصه عليه السلام

من صفاته أنه أول من تكلم بالعربية، فقد روى اسحق بن بشر، وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال : كان هود

---

١ ـ انظر الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ تأليف أحمد بن المبارك .

أول من تكلم بالعربية وله أربعة أولاد منهم : قحطان أبو اليمن والباقون ليس لهم نسل [1] .

وأخرج أبو الشيخ عن سفيان قال : من الأنبياء العرب النبي صلى الله عليه وسلم وصالح وشعيب وهود واسماعيل ، وفي رواية لأبي اسحاق وابن عساكر عن ابن عباس : كان هود من قبيلة يقال لها : (الخلود) وكان من أوسطهم نسباً وحسباً ، وأفضلهم موضعاً ، وأشرفهم نفساً ، وأصبحهم وجهاً ، وكان في مثل أجسام عاد أبيض جعد بادي العنفقة طويل اللحية .

وفي تفسير ابن كثير قال في حديثه عن هود : وكان من أشرف قومه نسباً ، لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ، ولكن كان قومه كما شدد الله خلقهم ، شدد على قلوبهم ، فكانوا من أشد الأمم تكذيباً للحق ، ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلى طاعته وتقواه ، وأخرج ابن عساكر من طريق سالم بن أبي الجعد عن عبد الله قال : ذكر الأنبياء عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما

---

(١) ذكره الإمام السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) .

ذكر هود قال: ذاك خليل الله. وقال أبو عمرو الداني: أن الخط العربي أنزل على هود ولقد سمي المسند مسنداً لأنهم يسندونه إلى هود وورد أن قوماً من طي تعلموا القراءة والكتابة من كاتب الوحي لهود[1].

سيّدنا هود ووصيته

لقد قال أهل السير أن سيدنا هود عليه السلام نبي مرسل، كما قال كثير منهم أنه أوّل نبي مرسل بعد نوح وهو أبو العرب العاربة وفيه يقول علقمة: أبونا نبي الله هود بن عامر، ونحن بني هود النبي المطهر، ولقد دعا سيدنا هود قومه لكنهم قالوا له: ﴿إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ ﴿وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين﴾. فأبادهم الله إبادة: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾.

ويذكر المؤرخون أن هوداً أولد قحطان أبو العرب العاربة والذي ينتسب إليه اليمانيون. ويذكر الهمداني ونشوان بن سعيد

---

(١) ذكره في المفصل (ج٨ ص١١١).

وصية هود لابنه قحطان وهي مادعا إليه هود قومه بعبادة الله وحده. قال: (أوصيكم بتقوى الله وطاعته والإقرار بوحدانيته) كما ذكره في صبح الأعشى.

عـــــاد

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾

ذكر الله عاداً في كثير من الآيات، وذكر عاد الأولى مما يقتضي السياق أن هناك عاداً ثانية، قال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾، فعاد أمة جاءت بعد هلاك قوم نوح وبعد الطوفان لتخلف أمماً على الأرض.

وهذه الأمة التي جعلها الله خلفاء من بعد قوم نوح وزادها بسطة أبادها الله سبحانه وتعالى وقال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ [الأعراف: (٦٩)].

ولقد تحدث أهل الأخبار عن عاد وثمود وجرهم... وغيرهم من الأمم البائدة، ممن قال الله تعالى عنهم: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾.

ويفهم أن مساكن عاد في الأحقاف بحضرموت لدلالة النص القرآني قال تعالى: ﴿وأذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾.

وننقل إليك حديث بعض المؤرخين والعلماء عن عاد:

يقول المسعودي : إنّ الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الأولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ ، فإنه يدل على تقدمهم وأن هناك عاداً ثانية . وأخبر الله عن ملكهم وبيَّن شدة بطشهم وما بنوه من الأبنية المشيّدة التي تدعى على ممر الدهور «العادية» . وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه الصلاة والسلام : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ .

وقال الإمام العارف بالله عبد العزيز الدباغ : عاد الثانية أُرسِلَ إليها هود ليجدد شرع من قبله من الأنبياء المرسلين إليهم ، وهو الذي قص علينا قصته في القرآن ، وهو الذي وفد قومه إلى مكة وعذبوا بالريح العقيم ، وهو من ذرية إسماعيل ، وليست عاد الثانية كلها من ذرية إسماعيل بل هود وعشيرته فقط . وقيل فيه : ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ تغليباً لأنه كان هو وعشيرته يساكنونهم ويرحلون معهم ومن هؤلاء : شداد بن عاد الذي له الخيمة العظيمة ذات العماد .

ثم قال : وأما عاد الأولى فإنهم كانوا قبل نوح عليه

السلام. وأرسل الله إليهم نبياً يسمى هويد [1] وهو رسول مستقل بشرعه بخلاف هود الذي أرسل إلى عاد الثانية فإنه مجدد لشرع من قبله من المرسلين [2].

ويقول العلامة محمد بن أحمد الشاطري: لم يذكر المؤرخون شعباً سكن حضرموت قبل عاد، فشعب عاد هم أول من سكنه بعد الطوفان، وهو شعب سامي يعده المؤرخون من العرب البائدة التي يتكون منها الطبقة الإولى من العرب، ومما لا شك فيه أن له مدينته وحصونه وقلاعه ومبانيه العظيمة ومزارعه الواسعة وعيون ماءه وأنعامه »[3].

ولقدم القوم أصبح ينسب كل شيء يبالغون في قدمه إلى عاد فيقولون: (إنه عادي)، فإذا رأوا أثراً قديماً أو أطلالاً قالوا: (إنها عادية) أو (من أيام عاد)، تعبيراً عن القدم الذي لا يُحد ولا يُعرف.

والقرآن يخبر أن قوم هود كانوا بالأحقاف فأين الأحقاف وما علاقتها بحضرموت.

---

(١) بهاء مضمومة قريبة من همزة بين بين وواو ساكنة سكوناً ميتاً بعدها ياء ساكنة سكوناً حياً.

(٢) انظر الإبريز (ص ٢٠٨-٢٠٩).

(٣) انظر أدوار التاريخ الحضرمي (ج ١ ص ٣٦).

الأحقـــاف

﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾

وقد ذكر اللغويون : أن الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل .

وقال المفسرون : أن الأحقاف وادٍ بحضرموت ، وقال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (الأحقاف وادٍ بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار) ، وقال قتادة : (ذكر لنا أن عاد كانوا حياً باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر) .

ونقل هنا تفصيل أقوال العلماء والمؤرخين في ذلك:

قال **الإمام القرطبي** في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ . وفيما أُريد بالأحقاف ههنا مختلفٌ فيه ، فقال ابن زيد : هي رمال مشرفه مستطيلة كهيئة الجبال ولم تبلغ أن تكون جبالاً . وقال قتادة : هي جبال مشرفة بالشحر ، والشحر قريب من عدن يقال شحر عُمان ، وشحر عَمّان ، وهو ساحل البحر بين عمان وعدن . وعنه أيضاً ذكر لنا

أن عاداً كانوا أحياء باليمن أهل رمل مشرفون على البحر بأرض يقال لها الشحر .

وقال **ابن عباس والضحاك** : وادٍ بين عمان ومهرة .

وقال **مقاتل** : كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بوادٍ يقال له مهرة .

وروى **الطفيل عن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه أنه قال : (خير واديين في الناس : وادٍ بمكة ، ووادٍ نزل به آدم بأرض الهند ، وشر واديين : وادٍ بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار ، ووادٍ بالأحقاف ، وخير بئر في الناس : بئر زمزم ، وشر بئر في الناس : بئر برهوت وهي في ذلك الوادي الذي بحضرموت)[1] .

الإمام أبي اسحاق الثعالبي : قال في قوله تعالى : ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ ، وهي رمال يقال لها رمال عالج بين عمان وحضرموت [2] .

---

(١) نقل من تفسير الإمام القرطبي ملخصاً ومختصراً من الجزء السادس عشر (ص ٢٠)

(٢) ذكره في كتابه قصص الأنبياء المسمى بالعرائس (ص ٦٣) .

يقول **الإمام القزويني** : إن الأحقاف هي الآن تلال من الرمل بين عدن وحضرموت، وكانت مساكن عاد أعمر بلاد الله وأكثرها عمارة وزرعاً وشجراً، فلما سلط الله تعالى عليهم الريح طمتها بالرمل وهي إلى الآن تحت تلك الأحقاف.

قال **الإمام محي الدين عبدالقادر العيدروس** في كتابه تاريخ النور السافر: (والأحقاف بلاد عادٍ جمع حقف، هو كثيب الرمل، ذكره الواحدي في البسيط في تفسير الأحقاف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأحقاف وادٍ بين عمان ومهره. وفي سيرة ابن هشام: بلاد عادٍ بين حضرموت وعمان[1].

وخلاصة ذلك :

١ ـ ان القطع التام بتحديد الأحقاف لايثبته إلاّ الكشف الأثري وذلك مسلّم به وقد حدد أن موطنها بحضرموت.

٢ ـ إن التواتر العددي والزمني للخبر يثبت العلم وإن كان أقل

---

(١) وفي قريب من هذه المعاني أوردها بقية العلماء في كتبهم ولم نذكر نصها اختصاراً، فقد ذكر ابن كثير مثل هذا المعنى في تفسيره (ج٤ ص ١٦٠)، والإمام أبي الحسن المسعودي في كتابه: (مروج الذهب ومعادن الجوهر) (ج٢ ص ١٣٣)، وفي تفسير الجلالين (ص ٤٠٣)، وفي تفسير البغوي (ج٢)، وذكره الهمداني في كتابه(صفة جزيرة العرب)، وياقوت الحموي في (معجم البلدان).

مرتبة من القطع الجازم، فإن ما رواه المفسرون واللغويون وأيده التعارف المطلق منذ مئات السنين وروته كتب السير والتراجم يؤخذ دون الإلتفات إلى الحاقدين.

٣ - إن الله جل جلاله في كتابه العزيز ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة من أجل أن نقتبس العبرة منها ونأخذها درساً يحيد بنا إلى السلوك الأقوم في هذه الحياة، ولذلك الغالب أن القرآن لا يحدد موطنها أو موقعها، ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج قد عرفهم ووصف لهم قبر سيدنا موسى عليه السلام وقال: (لو كنت هناك لأريتكم إياه). هو بنفسه عليه الصلاة والسلام يتولى تعريفهم بهذا الموطن المقدس المبارك من أجل ماذا؟!! من أجل إقامة الصلات والروابط بين المؤمنين وأنبيائهم وصلحائهم وأوليائهم بالتأدب معهم وسلوك طريقتهم وزيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم، وهو مقصد سامي سعت إليه شريعتنا له أثر بيّن على القلوب، فالمرء يوم القيامة مع من أحب، ولا ينبغى أن يُصرف ولاؤنا لغير هؤلاء القوم الذين اصطفاهم بارئهم، ومن بين خلقه اجتباهم.

وفاته عليه السلام وموقع قبره

أقوال العلماء في ذلك:

الإمام ابن كثير (ت ٧٧٤) :

يحدثنا الإمام ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾ عن محمد بن اسحق إلى أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: سمعت علياً يقول لرجل من حضرموت: (هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت هل رأيته ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه، قال: ولكن قد حدثت عنه، قال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال: فيه قبر هود). رواه ابن جرير.

الإمام الكسائي :

وقال الحبر المعتمد الكسائي في كتابه (مبتدأ الخلق): قال كعب الأحبار: (كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإذا رجل رمقه الناس لطوله قال: أيكم ابن عم رسول الله محمد صلى الله عليه

وسلم، قالوا: أي ابن عمه تريد ؟، قال: ذلك الذي آمن به صغيراً. فأومؤوا إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فقال: ممن الرجل ؟، قال: من بلاد حضرموت. قال: تعرف الأراك والسدرة التي يقطر من أوراقها ماءُ مثل السدم. فقال الرجل: كأنك سألتني عن قبر النبي هود عليه السلام. فقال: عنه سألتك فحدثني. فقال: مضيت في أيام شبابي بعشرة من شبان الحي نريد قبره عليه السلام، فسرنا إلى جبل شامخ فيه كهوف ومعنا رجل عارف بقبره، حتى دخلنا كهفاً فإذا نحن بحجرين وقد أطبق أحدهما على الآخر وبينهما فرجه يدخل فيها الرجل النحيف؛ وكنت أنا أنحفهم، فدخلت بينا الحجرين فسرت حتى صرت إلى فضاء واسع، وإذا أنا بسرير عليه ميت وعليه أكفان كأنها الهباء، فمسست بدنه فكان صلباً وإذا هو كبير العينين مقرون الحاجبين واسع الجبهة أسيل الخد طويل اللحية وإذا عند رأسه حجر على شكل لوح مكتوب عليه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، أنا هود ابن الخلود بن عاد رسولُ الله إلى عاد بن عوص بن سام

بن نوح، جئتهم بالرسالة، وبقيت فيهم مدة عمري فكذبوني، فأخذهم الله بالريح العقيم، فلم يبق أحداً، وسيجيء بعدي صالح بن كالوخ فيكذبه قومه فتأخذهم الصيحة. فقال سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه: صدقت هذا قبر النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ):

وذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه (تفليس أرباب النواميس) : وبوادي حضرموت عند المغاره الحمراء وادي وفوقه السدرة وعنده قبر نبي الله هود عليه السلام....

الإمام أبي إسحاق الثعالبي :

قال في كتابه (العرائس): قال أبو الطفيل عامر بن واثله: سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول لرجل من حضرموت: (هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه سدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من ناحية من حضرموت، قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فيه قبر النبي هود عليه السلام.

الإمام السيوطي :

ذكر في تفسيره الدر المنثور: وأخرج ابن سعيد وابن عساكر عن إسحاق قال: (ما يعلم قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة: قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت، وقبر هود فإنه في حقف تحت جبل من جبال اليمن وموضعه أشد الأرض حراً، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذه قبور محققه).

وقد ذكر الإمام الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧ هـ؛ هذه الرواية نفسها.

الإمام الخازن :

وفي (لباب التأويل) للخازن: فلما أهلك الله عاد أرتحل هود ومن معه من المؤمنين به من أرضهم بالأحقاف إلى موضع يقال له الشحر من أرض اليمن، فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بأرض حضرموت. ويروى عن سيدنا علي بن أبي طالب أن قبر هود بحضرموت في كثيب أحمر.

الإمام الخزاعي :

قال: ثم توفي هود بالأحقاف من أرض اليمن وقبره هناك معروف، وعمره أربعمائة واثنين وستين سنة.

الإمام الشوكاني :

قال : أخرج البخاري في تاريخه وابن جرير وابن عساكر عن ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : (قبر هود بحضرموت في كثيب أحمر عند رأسه سدرة)[1] .

الهمداني :

ويقول الهمداني : ويروى قصة الرجل الحضرمي الذي أتى سيدنا على بن أبي طالب يسأله ذات يوم فقال له سيدنا علي : أعالم أنت بحضرموت . قال : إذا جهلتها فما أعلم غيرها . قال أتعرف موقع الأحقاف بحضرموت ؟ ، قال : كأنك تسأل عن قبر هود . قال علي : لله درك ما أخطأت . قال : نعم خرجت وأنا في عنفوان الشباب في أغلمه من الحي ، ونحن نريد أن نأتي قبره لبعد صوته فينا وكثرة من يذكره ، فسرنا في وادي الأحقاف أياماً وفينا رجل قد عرف الموقع ، حتى إنتهينا إلى كثيب أحمر فيه كهوف مشرفة ، فإنتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف منها فدخلناه ؛ فأمضى فيه فإنتهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما دون الأخر وبينهما خلل يدخل فيه النحيف متجانفاً فدخلته ، فرأيت رجلاً

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (ج٢ ص ٢٥١ طبعة دار الخير) .

على سرير، شديد الأدمة، طويل الوجه، كث اللحية، قد يبس على سريره، وإذا مسست شيئاً من جسده أصبته صلباً لم يتغير، ورأيت عند رأسه كتاباً بالعربية: (أنا هود الذي آمنت بالله، وأسفت على عاد لكفرها).

القــزويني:

ويقول القزويني عند حديثه عن حضرموت: وبها -أي حضرموت- قبر هود، ويروى عن كعب الأحبار قصة الرجل الحضرمي مع الإمام علي التي أشرنا إليها، ويزيد القزويني في روايته قال له علي: (صدقت هذا قبر هود).

ياقوت الحموي:

قال: وحضرموت ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وبقربها بئر برهوت، ولها مدينتان يقال لأحدهما تريم وللأخرى شبام.

عبد الوهاب النجار:

قال في كتابه (قصص الأنبياء): كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف وهي تقع في شمال حضرموت وفي شمالها

الربع الخالي وفي شرقها عمان .

ويقول أهل حضرموت أن هوداً عليه الصلاة والسلام سكن حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات، ودفن في شرقي بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادي برهوت، وقد ورد عن علي كرم الله وجهه أنه مدفون عند كثيب أحمر وعند رأسه سمر في حضرموت، وأهل فلسطين يدعون أنه دفن عندهم، وقد بنوا له قبراً ويعملون له كل سنة مولداً، وقول أهل حضرموت أقرب إلى المعقول لأنها متاخمة لبلاد عاد وهي الأحقاف دون فلسطين .

الإمام محيي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروس :

قال نقلاً عن الإمام القزويني : إن بحضرموت قبر هود النبي عليه السلام، ثم ذكر قصة الرجل الحضرمي مع سيدنا الإمام علي بن أبي طالب بمثل ما رواها ابن كثير عن كعب الأحبار [1] .

---

(١) انظر تاريخ النور السافر (ص ٦٧) .

الإمام أبوبكر بن عبد الرحمن بن شراحيل الشبامي الحضرمي :

قال في كتابه (مفتاح السنة) : حضرموت بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن، تجمع أودية كثيرة وهو بضم ميمها . وقد اختص بهذا الإسم وادي ابن راشد الذى طوله نحو مرحلتين أو ثلاث إلى قبر هود عليه السلام، ويطلق على بلاد كثيرة، وساحلها العين وبروم إلى الشحر ونواحيها ونجدها من جردان ونواحيها إلى تريم إلى قبر هود عليه السلام [1] .

العلامة محمد بن أحمد الشاطري :

قال في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) : وقد مات هود بحضرموت فيما يروي كثير من المؤرخين وخاصة من كتب عن حضرموت، وأصبح وجود القبر متواتراً بمحله المعروف، وكانت تقام سوق سنوية في الجاهلية في شعبان في المنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت قرب بئر برهوت الشهيرة [2] .

---

(١) انظر تاريخ النور السافر (ص ٦٥ , ٦٦) .

(٢) انظر كتابه أدوار التاريخ الحضرمي (ج١ ص ٣٧) .

الإمام الأهدل محمد بن علي الأهدلي:

قال الامام الاهدل في كتابه (نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون):

(فصل) في ذكر الأنبياء المدفونين باليمن: المشهور منهم نبي الله ورسوله إلى قوم عاد هود عليه الصلاة والسلام، قبره في حضرموت في الكثيب الأحمر كما في تحفة الزمن، وله شهرة عظيمة عند أهل حضرموت يتوارثها الأبناء عن الآباء، ويعملون له زيارة كبيرة في كل سنة تشترك فيها جميع قبائل حضرموت وبعض قبائل الشمال مع ما بينهم من الحروبات الدائمة والغارات المستمرة والأحقاد المتأصلة، فينبذونها من قلوبهم كأن لم تكن مدة أيام الزيارة وحتى ترجع كل قبيلة إلى مربعها وتعدي حدود بلادها إحتراماً لهذا النبي الكريم.

وعن أبي الطفيل عامر بن واثله قال: (سمعت علي بن أبي طالب يقول لرجل من حضرموت: أرأيت كثيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت هل رأيته؟، قال: يا أمير المؤمنين إنك لتنعته نعت رجل قد رآه. قال: لا، ولكن حُدِّثتُ عنه. قال الحضرمي: وما شأنه يا

أمير المؤمنين؟، قال: فيه قبر هود). أخرجه الحاكم في المستدرك وسكت عليه، وكذا الذهبي وفي الكنز [ج ٦ ص ٣١٠].

وعن اصبغ بن نباته قال: أقبل رجل من حضرموت فأسلم على يدي علي بن أبي طالب، فقال له علي: أتعرف الأحقاف؟. فقال له الرجل: كأنك تسأل عن قبر هود. قال: نعم. قال: خرجت وأنا في عنفوان شبيبتي في غلمة من الحي ونحن نريد نأتي قبر هود لبعد صوته (كذا) فينا، وكثرة من يذكره منا، فسرنا في بلاد أياماً ومنا رجل قد عرف الموضع، فانتهيا إلى كثيب أحمر فيه كهوف كثيرة، فمضى بنا الرجل إلى كهف منها، فدخلنا وأمعنا فيه طويلاً فانتهينا إلى حجرتين قُدَّ أحدهما دون الآخر وفيه خلل يدخل فيه الرجل النحيف فدخلته، فرأيت رجلاً على سرير، شديد الأدمة، طويل الوجه، كث اللحية، قد يبس على سريره، فإذا مسست شيئاً في جسده أصبته صلباً لم يتغير، ورأيت عند رأسه كتاباً بالعربية: (أنا هود الذي أسفت على عاد لكفرها، وما كان لأمر الله من مرد). فقال لنا علي: كذلك سمعت من أبي القاسم صلى الله عليه وسلم. رواه ابن عساكر[1]

(١) انظر كتاب نشر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون (ص ١٠٧-١٠٨) طبعة دار الكتب اليمنية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الإمام عبد الله بن محمد بن عقيل مطهر :

قال في كتابه (فتح الودود في تحقيق قبر نبي الله هود) :

قال سيدنا الإمام عبد الرحمن بن محمد العيدروس في كتابه (بذل المجهود) : إنه أطبق كافة أهل حضرموت من العلماء الأعلام والمشائخ العظام والصلحاء الكرام أجمعوا قولاً وفعلاً خلفاً عن سلف على أن ضريح سيدنا نبي الله هود عليه السلام الشريف وقبره المعظم المنيف لديهم سفال حضرموت في الموضع المعروف والمشهد المشهور المألوف بالكثيب الأحمر سفح الجبل الأنور الأشهر، وقد قال تعالى : ﴿واذكر أخا عاد﴾ يعني سيدنا هود ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ جمع حقف بالكسر المعوج من الرمل، أو الرمل العظيم المستدير والمستطيل المعوج، أو هي رملة مستطيلة بناحية الشحر، أو هي خطوط برؤوس الجبال. قال الشيخ عبد الرحمن الخطيب في كتابه (الجوهر الشفاف) : والخطوط برؤوس جبال حضرموت خاصة.

العلامة حسنين محمد مخلوف:

قال في مقدمة كتاب وسيلة الصب الودود[1] : والظاهر

(١) الى الاله المعبود، كتيب فيه كيفية الزيارة .

من اختصار الطبري وهو إمام المفسرين على أن هوداً عليه السلام قد دفن بأرض حضرموت كما في رواية علي ابن أبي طالب ترجيح هذا القول على غيره وهو ما أخرجه البخاري في تاريخه وأخرجه غيره كما ذكره الألوسي وهو الذي يظهر من إجماع السادة العلويين بحضرموت.

الأستاذ صالح الحامد:

يقول: من أشهر وأبرز المآثر القديمة بحضرموت قبر هود عليه السلام، الواقع قريباً من وادي برهوت شرقي فُغْمه بنحو عشرة أميال على سفح الجبل في الشعب المعروف بشعب هود، وكونه بحضرموت هو المنقول المتواتر خلفاً عن سلف.

الإمام محمد بن علي بن أبي بكر الشلي:

قال في كتابه (المشرع الروي): ومن عجيب ما جاء في أيام الصديق رضي الله عنه: أنه حصل مطر عظيم بحضرموت، فأبرز السيل باباً مغلوقاً، فهاب الناس وظنوه كنزاً، وكتبوا إلى الصديق رضي الله عنه، فأرسل أُمناء ففتحوا الباب، فنفذ بهم إلى مغارة فإذا فيها سرير عليه رجل ميت، عليه حلة منسوجة من

الذهب، وفي يده لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

إذا خان الأمين وكاتباه وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وفي يده خاتم مكتوب فيه: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾.

وعند رأسه مكتوب:

يالائمي في جرهم جاهلاً عذري منقوش على خاتمي

وسيف أخضر مكتوب عليه: (هذا سيف هود بن عاد بن إرم).

ومن كتاب (نفائس الدرر) المشتمل على بدؤ الخلق لما ذكر الأنبياء فذكر نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قال: عن كعب الأحبار أن هوداً عليه السلام بعد هلاك عاد ارتحل ومن معه من المؤمنين من أرض عاد بعد هلاكهم إلى موضع يقال له الشحر من بلاد حضرموت فنزلوا هناك حولين.

وخلاصة ذلك:

أولاً: أن عدم ذكر القرآن الكريم لمعنى الأحقاف وذكر القبر لا ينفي وجوده ولا تحديده.

ثانياً : إن الطعن في رواية رواها العلماء كالإمام ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ والهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ وابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ، والواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ، تحتاج إلى إقامة الأدلة والبراهين وليست مجرد تخيلات المبطلين أو ترويجات الحاقدين.

ثالثاً : أن سوق هود سوق الشحر التي تقام بسفح الجبل في أيام العرب قبل الإسلام تبين ما لهذا المحل من مكانة وأن نسبة السوق إلى هود.

رابعاً : أن الكثيب الأحمر قد يكون موجوداً قبل ظهور المباني المعروفة بالخدور هناك والتغييرات التي طرأت بعد ذلك.

وإستطراداً في البحث نحيط القارئ في عجالة عن بئر برهوت الذي مرَّ ذكره في البحث ....

بئر برهوت

برهوت: وادٍ بحضرموت وهو نسبة إلى البراهيت الحميريين، وغلب اسم البئر أو المغارة على برهوت فقيل بئر برهوت أو مغارة برهوت، وبرهوت وادٍ بحضرموت قرب قرية يقال لها تِنْعه.

وجاء ذكر برهوت في كثير من المصادر التاريخية، وأخذ ذكر البئر موقعاً في كثير من المصادر، واهتم بالمغارة أو البئر كثير من الأخباريين، فقد ذكرها الهمداني في صفة الجزيرة، وذكرها **القزويني** في كتابه (آثار البلاد): وبها [أي حضرموت] بئر برهوت وهي التي قال النبي عنها: أن فيها أرواح الكفار والمنافقين، وهي بئر عادية قديمة عميقة في فلاةٍ ووادٍ مظلم.

ويقول **ابن كثير** عن سيدنا علي بن أبي طالب: (الأحقاف: وادٍ بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار).

ويقول **المسعودي** عند ذكره آطام النيران: وأطمة وادي برهوت صوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة، تقذف من قعرها

بجمر كالجبال، وقطع من الصخور سود، حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حساً من أميال كثيرة، ثم ينعكس سفلاً فيهوي إلى قعرها وحولها.

وذكر **القزويني** أن بها أي حضرموت بئر برهوت وهي التي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن فيها أرواح الكفار والمنافقين، وهي بئر عادية قديمة عميقة في فلاة وواد مظلم.

وعن علي رضي الله عنه: أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت بحضرموت، فيه بئر ماؤه أسود منتن تأوي إليه أرواح الكفار.

وذكر **الأصمعي** عن رجل حضرمي قال: إنا نجد من ناحية برهوت رائحة منتنه فظيعة جداً، فيأتينا الخبر أن عظيماً من عظماء الكفار مات [(١)].

ويقول العلامة **محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحيى** [(٢)]: أن بئر برهوت مغارة واسعة في ثلث الجبل وفيها منافذ أدى بعضها إلى متسع به حفر كثيرة ممتلئة رماد كبريت وبمسافة

(١) انظر تاريخ النور السافر (ص ٦٨)

(٢) المتوفى بمدينة الحديدة في ١٣ ربيع الأول ١٣٥٠هـ في ماكتبه عن مشاهداته لبئر برهوت في مجلة المقتطف.

خمسين خطوة إلى جهة الغرب في تعاريج وزحف على البطن في بعضها سطعت رائحة الكبريت، ولأسباب خاصة لم يتقدم سوى مائة وخمسين خطوة على الرماد الناعم الكبريتي، ولم تزل المغارة أمامه متسعة إلى حيث لايعلم، على أنه شاهد سقف المغارة المسود يترشح بالمومياء الجبلية السوداء [1] .

ويقول العلامة الشاطري -نقلاً عن المستشرقين-: أنه كهف عظيم عميق مظلم ذو تعاريج وتقاطيع يبلغ طوله مائة وعشرين قدماً وعرضه أربعمائة وخمسون قدماً وعمقه ستمائة قدم [2] .

ووادي برهوت وادٍ قديم ومن برهوت رحل كليب بن سعد البرهوتي إلى المدينة ليقدم هدية أمهِ للرسول صلى الله عليه وسلم وليسلم على يديه وقد أنشد الشعر أمام حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلاً:

من وادِ برهوت تهوي بي عذافره   إليك ياخير من يحظي وينتحل
تجوب بي صفصفاً غبر مناهله   تزداد سيراً إذا ماكلَّت الإبلُ

---

(١) انظر أدوار التاريخ للشاطري (ج١ ص ٣٧) وقال ولخصه صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين في حاشيته عليه (ج١ ص ٤٨) .

(٢) انظر ادوار التاريخ الحضرمي (ج١ ص ٣٧) .

شهرين أعملها نصباً على وجل أرجو بذاك ثواب الله يارجلُ
أنت النبي الذي كنا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل [1]

والآن نعود بالقارئ إلى ذكر أمورٍ تتصل بذكر القبر الشريف وهو النهر....

نهر الحفيف أو الحقيف

ذكر المؤرخون أن في منطقة هود (وادي برهوت) نهر الحفيف، وذلك في أسفل الوادي شرقاً، وقد أشار الهمداني إليه، كما ذكره نشوان في ملوك حمير قال: (ثم توفي هود بالأحقاف وقبره هناك معروف بالقرب من نهر الحفيف).

ويقول العلامة ابن هشام: أن هوداً قبض ودفن في الأحقاف بموضع يقال له الهنيق بجوار نهر الحفيف، فإن نهر الحفيف اخرج الله فيه نهر الماء العين.

---

(١) تحدث عنه ابن سعد في الطبقات، وذكر شعره، وأن أمه تسمى تهناه بنت كليب، وذكره ابن حجر في الإصابة.

وأشارت كتب التاريخ العربية القديمة من أن هناك نهراً كان يسمى الحفيف أو الحقيف، وذلك في أسفل الوادي شرقاً في المنطقة المسماه بالأحقاف، حيث يوجد قبر النبي هود وبئر برهوت.

الأسواق العربية

أقام العرب بينهم للتعامل بالبيع والشراء أسواقاً، وقد اشتهرت قريش بالتجارة وبها عرفت وذاع صيتها بين القبائل، وكانت لها رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام.

ويرجع بعض الأخباريين عهد تجارة قريش مع اليمن إلى أيام سيدنا هود عليه السلام.

وقد كان للعرب أسواق يجتمعون فيها بتجارتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على أموالهم ودمائهم، وقد ذكر بعض الأخباريين أن أسواق العرب في الجاهلية ثلاثة عشر سوقاً

أولها قياماً دومة الجندل، وحظ اليمن من هذه الأسواق حظ كبير، فهي: سوق الشحر (سوق هود)، سوق عدن، سوق صنعاء. . . وغيرها، وإذا كان سوق عكاظ اشتهر بورود الشعراء إليه وأنه موسم الشعر فإن حال الأسواق الأخرى مثل حال سوق عكاظ.

سوق الشحر:

أما سوق الشحر - شحر مهره - فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود، وكان قيامها للنصف من شعبان، وكان غالب ما يعرض فيها الأدم والبز ويشترون بها الكندر والمر والصبر ويقصدها التجار.

وإذا كانت هذه الأسواق مواضع مقدسة في الأصل فإن سوق الشحر وجوده في سفح الجبل يؤكد أن قبر سيدنا هود عليه السلام كان معلوماً منذ ذلك الوقت وقبله، وأن العلم بالقبر قد سبق السوق.

ونصل إلى الغاية من البحث فنقول :

زيارة قبر سيدنا هود عليه الصلاة السلام

إن السوق التي تقام بسفح الجبل في الجاهلية دليل على تواتر الخبر أن القبر بالأحقاف، وبتلك المنطقة وأن العلم به سبق السوق، ويؤيد هذا ما نقله الأستاذ الحامد عن كتاب السعادة والخبر في مناقب آل باقشير، قال: (وقد ذكر أن ذا القرنين زاره بحضرموت)، وقال: (وذكر ابن هشام أن سليمان بن داود زاره أيضاً، وأنها سارت به الريح إلى الأحقاف ليزور قبر سيدنا هود عليه السلام فسار حتى نزل الأحقاف، ودخل إلى قبر هود ورآه ثم انصرف ومر على البحر حتى بلغ عدن، ولما بلغ سليمان إلى عجز الأحقاف أمر الريح فأمسكت).

ويقول الهمداني في صفة الجزيرة: أن قبر هود في الكثيب الأحمر في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف وهو وادٍ يأخذ من بلد حضرموت إلى بلاد مهرة مسيرة أيام، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت.

زمن الزيارة :

أوضحنا فيما سبق أن السوق التجارية تقام في سفح الجبل المقبور به نبي الله هود في النصف من شعبان وذلك ما روته كتب السير والتواريخ .

وقد كانت الزيارة في عهد الشيخ عبد الله باعباد تقام بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبئته لا على الأشهر القمرية .

وأول من جعل موسم الزيارة على الأشهر القمرية هو فخر الوجود سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي المتوفى سنة ٩٩٢هـ ، إذ جعل ذلك في شعبان وجعل المبيت ليلة النصف من شعبان هناك .

ثم تقدمت أيام الزيارة فكانت تقام في التاسع والعاشر وهي كذلك إلى هذا اليوم .

ففي هذين اليومين تعقد مجالس عامة حول القبر في القبة وضاحيتها وتحتها في المحل المسمى بالناقة[١] تشتمل على دعوات وتسليمات ومواعظ وقراءة قرآن في الصباح والليل كما تعقد بعد الظهر وبعد الشروق هذه المجالس التي يكتسب منها

---

(١) الناقة هي الصخرة الكبيرة كما ذكره في القاموس المحيط (ص ٢٩٧ ج٢) .

الصفاء والخشية من الرب الأعلى والقرب من حبيبه المصطفى، ويتصدر هذه الجلسات أئمة الهدى من آل البيت النبوي العلويين، وتقام الأفراح عند قدومهم إلى هذا الشِّعب فرحين بفضل الله عليهم ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾. وكم من تائب في هذا الشعب قبلت توبته، ومستغفر قبل إستغفاره، ويعودون إلى أوطانهم محملين بالزاد العظيم وهو تقوى رب العالمين، لما يسمعونه من المواعظ والإرشادات، ويعودون بهمة في الإقبال على الله وفي الحرص على فعل الخير.

العمارة والمباني:

يقول العلامة محمد الشاطري: ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان من كل سنة، وأصبحت موسماً من المواسم العامة بحضرموت، وتحدد موضع القبر هناك، وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر ولكنها لا تسكن سوى عدة أيام الزيارة وهي أيام قليلة أما بقية العام فتبقى بيوتها خاوية خالية.

وكان موضع القبر متوعراً غير ممهد، وفي القرن التاسع قام الشيخ الفقيه حكم بن عبد الله باقشير المتوفى سنة ٨٧٨هـ أو ٨٧٩هـ بعمارة المشهد المذكور عمارة تامة وبناه بالحجر والنورة وجعل عليه قبة ومهد ما حواليه.

ومما تمتاز به هذه الزيارة عدم الإختلاط بين الرجال والنساء، كيف يكون ذلك والقائمين عليها هم فحول العلماء الذين يتحاشون فعل المكروه فضلاً عن الحرام، فأسس الزيارة مبنية على علم وتقوى وهدى.

السلف الصالح وحثهم على الزيارة

لقد حث السلف الصالح رضوان الله عليهم على هذه الزيارات والإجتماعات، التي هي وجه من وجوه الرعايات الإلهيات، والعنايات الربانيات لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبركة ورثته القادات، وحاملي راية شريعته من أهل القلوب الطاهرات السليمات، الذين أطنبوا في حثهم على هذه الزيارة المباركة، ونراه جلياً واضحاً من خلال كلامهم المنثور والمنظوم، فقد جاءنا أن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي قد زار سيدنا هود عليه السلام، وكذلك الإمام عبد الرحمن السقاف. . . وغيرهم، فليس عندنا شك في صحتها قطعاً، ونحن على ثقة منهم فهم الأولياء الذين اصطفاهم بارئهم واجتباهم، ولولا هذه الثقة ما قامت قوائم الإتصال بالأقوام الصالحين الذين مضوا قبلنا على مر القرون حتى تصل إلى لحظاتنا هذه، إنما ذلك لأن المسألة لها رعاية باطنية، وعنايات ربانية، تكل عن إدراكها الأفهام الزكية، ويحيط بها لطف اللطيف من كل حيثية، وتعلم أهل النفوس الزكية، أن الله

يحكم في كل البرية، وأن له أولياء تولاهم، وقد نادى وأعلن الحرب على من عاداهم، ومن له في الدنيا أو يوم الحشر مواجهة لمحاربةٍ من قبل الله تعالى في عظمته فالرؤوس منكسات أمام رايات أهل الولايات وأرباب العنايات، ممن ثبتت لهم محبة بارئ الأرض والسموات، تتنكس الرؤوس لراياتهم وتذلل الأعناق لأعلامهم المنشورة في يوم النشور، المرفوع ذكرهم من قبل العزيز الغفور، الذي إليه المرجع وإليه مآب جميع الخلائق في يوم البعث ويوم النشور جل جلاله وتعالت عظمته.

فبعد هذا البيان ليس عندنا شك في ذلك، وما بسطناه من الأدلة إنما هو تأكيد ينتهي به تشكيك المشككين، ويزول به وهم المتخيلين، الذين قلت ثقتهم بأحباب رب العالمين، وغاب عن عقلهم ما بلغوا فيه من مرتبة اليقين.

ونقل بعض كلامهم في ذلك:

يقول الإمام العارف بالله تعالى **علي بن أبي بكر السكران** رضي الله عنه: (أما بعد: فإن زيارة الأنبياء والمرسلين في مقابرهم المعروفة، ومشاهدهم المشهورة، من أجلِّ الطاعات

وأجزل القربات، ومن أجلِّ المشاهد وأفضل المعاهد وأجلها الموضع المعروف والمشهد المألوف بحضرموت قبر النبي هود المرسل المعظم المبجل المكرم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. ويقول أيضاً في قصيدته:

سقى الله عهداً بالحيا الطيب الولي وربعاً به السادات من نورهم ملي

حماءٌ به هود النبيْ حلَّ ظاهر فأكرم بهود من نبي ومرسل

ويقول الشيخ **عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر باعلوي**:

ياذا البُرَيق الشرقي ياللي تنمنم من قدا قبر هود

نبي رب الخلق صلى عليه الله نعم الودود

وقال سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد في قصيدته التي نظمها في ربيع ثاني سنة ١١٢٥هـ قال: واخترنا هذا الخط الذى يناسب العامة وهو سهل على السنتهم:

يا وجيه انها هبت رياح السعود

واومض البرق في الداجي من أقصى النجود

ذكراني ليالٍ قد خلت حول هود

شعب قبر النبي المرسل وفي العهود

ياليـــالي الرضـــا عـــودي ليخضر عـودي

باللقـــاء والتداني بعـــد طـــول الصـــدود

وغيرهـم كثير من السلف الصالح رضوان الله عليهم وإنما إخترنا ذلك للمثال لا للحصر.

ولأجل أن الزيارة هذه ما قامت إلاّ بأهل حضرموت خاصة وغيرهم عامة فهذه صورة موجزة عنهم:

* * *

مجد أهل حضرموت عامة وأهل تريم خاصة

وهي نبذة مختصرة عن مجد أهل حضرموت عامة، وأهل تريم خاصة التي تعقد فيها اجتماعات قبل زيارة نبي الله هود، نقلاً من كلام الإمام العلامة **عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ**:

إن المتأمل الذي يتأمل تاريخ العالم الإسلامي فيجد بلدتكم (أي تريم) هذه من أنظر صفحات التاريخ وأزهاها وأشرفها وأنورها، أفيريد أحد أن يبدل نعمة الله كفراً؟ ويقول فعلهم وتركهم..!.

هذا فخرك، هذا عزّك، هذا شرفك، هذا مجدك، هذه كرامتك التي أكرمك الله بها، أفتريد أن تقلبها كفراً . . ؟!، فهل الله محتاج إليك . . ؟، أيكرمك ويشرفك وتعاند بعد ذلك، وتحول النعمة كفراً، ثم تظن أنه محتاج إليك . . ؟، سيقصمك ولا يبالي . . ، إن كانت الأمة المحمدية في الشرق والغرب تفتخر بوجود الصلحاء فقد جعل الله حظنا من وجودهم وافراً، بل من أوفر الحظوظ على ظهر الأرض.

إن كان لأهل الإسلام من جميع أهل لا إله إلا الله عز وشرف وفخر بمن نشر الإسلام ودعوة سيدنا محمد فبلدتنا من أوفر البلاد حظاً وأكبرها قسماً وأجزلها نصيباً؛ بل مئات الآلاف والملايين من المسلمين الآن ما دخلوا الإسلام من أوائلهم إلا على يد رجال من هذه البلدة، أفنبدل نعمة الله كفراً . . ؟! أفنأتي ونقول فعلٌ وتركٌ . . ؟! فهذه الغباوة بنفسها، وهذ البلادة بنفسها، نأتي إلى بيت عزنا وشرفنا ومجدنا فنريد أن نقصمه . . !، ثم لو كان هذا العز والشرف من أي مخلوق ربما تمكنا من تهديم القصر، لكن العزيز الذي أعز أهل طاعته كل من

حام حول قصر هذه العزة كما سمعتم انتقم العزيز منه لأن العزيز يغار على عزته التي قال عنها: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

أنت تريد أن تهدم قصر عزه بالله، إنه ليس عزٌ بمال، وليست العزة بسلطة، وليست العزة بحكم، إنه ليس عز بتكبر، إنه ليس عز بترفع على أحد من الخلق؛ بل صفحات هؤلاء الرجال التواضع الذي قل نظيره في الشرق والغرب، الرحمة التي قل نظيرها في الشرق والغرب، ولقد شهدت شوارع البلدة قلوباً في التذلل والتواضع للجمادات فضلاً عن الحيوانات فضلاً عن بني آدم، تبوأت فيها منزلة من وصل إليها وهم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . . الذين لم يتكبروا حتى على الجمادات ولا على الأرض التي يمشون عليها.

ومنهم طوائف كثيرة مضوا في خدمة الفقراء، في خدمة المتعبين، في خدمة العجائز، كثير ممن هم من أكابر وخواص الظاهرين فيهم المشهور فضلهم وهو يتقمص قميص الخدمة لعجوز أو لشائب أو لمتعب أو لمسكين أو لمحتاج أو لمضطر. . هذا

تاريخهم وهذه أوصافهم . . إذن فلا عزَّ لهم بشيء سوى الله .

ثم إن كان عزهم بالله فأراد إنسان أن يهدم بيت العزة هذا أنى له ذلك . . ؟ لو كان عزهم بحكم ربما استطعت ، لو كان عزهم بسلطة ربما استطعت أن تهدمه ، أنت تريد أيضاً حكماً ، أنت تريد سلطة ، لكنه عز لحي دائم كيف تهدمه . . ؟! ومن أين تدخل عليه . . ؟! فرضي الله عمن لا عز لهم إلا الإنتساب لعظمة الله والإقبال على الله .

ثم قال : وينقل أهل التاريخ أنه لما انتشرت الردة في نواحي حضرموت وخرج الصحابة لقتال المرتدين وكان من جملة ما أختصت به هذه البلدة من بلدان حضرموت أن جميع أهل البلدة ماوجد فيهم مرتد ، وأن أهل البلدة قاموا بنصرة الصحابة فور ما وصلوا ، وقاتلوا معهم ، ودارت معركة هناك في النجير . هناك دارت معركة من المعارك التي حضرها جماعة من الصحابة ومنهم من أهل بدر قُبروا في مقبرتكم هذه[1] ، وقامت قائمة الدين ، حتى ذكر أهل التاريخ أنه لما وصل الخبر إلى الصديق سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه دعا بثلاث دعوات

---

(١) والتي تسمى « زنبل » .

لهذه البلدة وقال: (اللهم ابقها معمورة إلى يوم القيامة، وبارك في مائها، وانبت الصالحين والأولياء فيها كما ينبت الماء الزرع)، وقد استجاب الله دعوته هذه رضي الله عنه.

وأهل بلدة لهم مثل هذا التاريخ الصاتع الناصع المضيء من غير شك أنَّ المسئولية كبيرة عليهم، أفيخلف بعد الأتقياء خلف أشقياء..؟ أو يخلف بعد الأنبياء خلف بكدرٍ أو قذرٍ..؟ أو يحلُّ بنا ما وصف الله به أقواماً لم يحسنوا الخلافة للأنبياء من قبلنا..؟ وقال بعد ما ذكر الأنبياء: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى (أي الدنيا) ويقولون سيغفر لنا﴾.

ولكن نرجوا أن يخلف الماضيين من الأكابر أخياراً، ويظهر الله فيهم صدق الخدمة للدين وللرسالة ولهذا النور المبين.

آداب الزيارة ومقاصدها

يقول الإمام العلامة **عمر محمد بن سالم بن حفيظ** :

تتركز إستفادتنا من هذه الزيارة على قدر أمر ينطوي في القلب يعبر عنه بالنية يقول خير البرية : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى»[1] صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله .

فيحتاج المتوجه إلى الزيارة أولاً أن يتفقد نيته ، ويذهب في مثل زماننا أناس كثير هذا ينوي بالذهاب أن يحصل الثواب إجمالاً ، وهذا يفصل بعض التفصيل ، وهذا يتخذه مجرد عادة من العادات وهو يريد أن يتنزه ، وهذا يريد أن يروِّح عن نفسه وإن وجد حاجة يشتريها ، وهذا يريد أن يقابل فلان وفلان في ذلك الشِّعب لأن معه له كلام ، أو يريد لزيارتهم من أجل الله تختلف في ذلك النيات . . . «وإنما لكل امرئ ما نوى» ، يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «من غزا (أي يريد الجهاد) وهو ينوي عقالاً فله ما نوى» ثوابه من الغزو أن يأخذ العقال .

(١) رواه البخاري : ١ ، ومسلم (١٩٠٧) .

ولهذا برؤية من الـمَرَائي نبه الله بعض الغزاة في الغزو:

(جلس في الليل مع اصحابه وقال: غداً إن شاء الله نقاتل الكفار، وننتصر عليهم، ثم نغنم، ثم بعد ذلك نذبح من أغنامهم ونأكل الكبد فإني أحب الكبد . . قال الرجل هذا الكلام وأصبحوا في الغزوة، وفي الليلة الثانية نام، وأراد الله أن ينبهه في تصحيح النية، فرأى كأن ملكين نزلا من السماء يقول أحدهما للآخر: هل كتبت أسماء الغزاة المجاهدين؟، قال: نعم، قال: فاتلهم، فتلا عليه فلان وفلان ويذكر أصحابه كلهم وما ذكر اسمه، فتقدم يقول وأنا حضرت الغزوة وخرجت أجاهد في سبيل الله واسمي ليس مكتوب عندكم!، يقول هذا: إنه حضر لماذا ليس مكتوباً؟، فالتفت الملك وقال: لا هذا نوى أكل الكبد . . هذا ما خرج للجهاد في سبيل الله، قال: لا والله ما هذا قصدي الذي خرجت من شأنه، فقط تمنيت أمنية خطرت على بالي، أنا سأجاهد في سبيل الله وسأنصر الدين، خرجت قصدي الثواب ما أريد الكبد. . . -وقعد يصيح ويبكي- فجلس الملكان يتحدثان، يقول الملك لصاحبه: اكتبه في جانب، وقل

يلحق بهم صاحب الكبد).

الله يصحح لنا نياتنا ويجعلها من أعلى النيات.

الأدب الأول: أن تكتسب رضوان الله:

أنت تذهب لتكتسب شيئاً هو أعلى من نعيم الجنان . . نعيم الجنان الذي لا تتصوره العقول ولا خطر على قلب بشر يوجد ما هو أعلى منه: إنه رضوان الله. . . ، ذكر ربكم الجنة في القرآن ثم قال: ﴿ورضوانٌ من الله أكبر﴾.

ينادي الله أهل الجنة يقول: يا أهل الجنة، يقول أهل الجنة: لبيك ربنا وسعديك، يقول: هل رضيتم؟، يقولون: ياربنا وكيف لا نرضى! ألم تبيض وجوهنا؟ ألم ترجح موازيننا؟ ألم تثِّبت أقدامنا على الصراط؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تعطنا وتعطنا؟ . . كيف لا نرضى يارب؟! . يقول الله: هل أعطيكم أفضل من ذلك؟، يقولون: يا ربنا وما أفضل من ذلك؟، يقول ربنا: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا.

هذه ساعة عظيمة لا يفوُّتها الواحد منا من أجل البطالات والترهات.

الأدب الثاني: أن يزداد الإيمان في قلبك:

تقصد بزيارتك أن تكتسب رضوان الله، ثم أن يزداد الإيمان في قلبك واليقين الذي هو أغلى ما ينزل من السماء إلى الأرض، وما أوتي أحد شيئا خير من اليقين . . ولا أعظم عطيه من اليقين . . فالله يرزقنا وإياكم اليقين. ويقوى اليقين بأسباب، ومن أقوى أسبابه: كثرة ذكر الله، والإستماع لأحكام الله، والإجتماع مع أهل طاعة الله.

الأدب الثالث: أن تقصد زيارة كل من تلقاه:

إجعل لك نية أن تزور كل من تلقاه في الشعب، كل من صافحته إقصد بها زيارة له فتكون من المتزاورين في الله، ولقد روى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لايزور عبد مسلم أخاً له في الله إلاّ ناداه مناد من السماء: أن طبت وطابت لك الجنة، وقال الله: عبدي زارَ فيَّ وعليَّ قِراه أي ضيافته، فلا يرضى له بثواب دون الجنة)، هكذا في رواية البزار وفي الحديث الآخر: (من زار أخاً له في الله دعا له سبعون ألف ملك يستغفرون له إن زار في الصباح إلى المساء وإن زار في المساء إلى الصباح).

فكم ستزور في كل يوم من أعداد الواصلين للشعب. . ؟!، إذا كان هذا الثواب في زيارة الأخ لله، فكيف بالثواب في زيارة نبي من أنبياء الله. . ؟! فهل يكون المسلمون أعظم عند الله من الأنبياء؟!.

إذا أنت تزور واحداً من المسلمين مؤمن بالله تجد من الثواب تشييع ألف ملك، ويناديك الملك طبت وطاب ممشاك، ويناديك الله: عبدي زار فيَّ وعليَّ قراه، فكيف إذا زرت مقرَّباً ومحبوباً عند الله. . ؟ فكيف إذا زرت نبياً من أنبياء الله. . ؟.

الأدب الرابع: تصحيح التوبة قبل الذهاب:

إذا توجهت للزيارة فانتبه من الأدب الرابع فصحح توبتك قبل أن تذهب، فلا تذهب وأنت مصر على قطيعة، أو مصر على عقوق، أو على أكل حرام، أو ظلم أحد من الناس؛ فإنك متوجه لأمر عظيم.

الأدب الخامس: أن تنوي مشاركة الذاكرين لله جل جلاله:

تنوي أن تشارك الذاكرين لله كلما استطعت، حتى ما يعتاد فعله من «الرزيح»[1] واجتماع الجماعة على الإنشاد تأمل

(١) الزريح: لهجه دارجه بمعنى الترجز ببعض الكلمات البسيطة التركيب.

ما فيه تجده ذكر ودعاء وإبتهال ونصح ووعظ، فلا يكون نصيبك من هذه الأذكار مجرد أن قفزت وطلعت ونزلت، أنت في فرح وسرور هذا الفرح والسرور ليس من أجل أن أحداً أعطاك مالاً ولا من أجل غرض من أغراض الدنيا . . فرحت من أجل الإجتماع على طاعة الله . . فرحت بأنبياء الله . . فرحت بالإجتماع مع الصالحين من عباد الله . . فهو فرح يحبه الله جل جلاله وتعالت عظمته، فأنت في هذا الفرح أيضاً تذكر الله، وتتأمل ماذا يقولون، انظر بماذا يبدؤون ؟، جاء هذا الذي يسمونه (التهاويد) إذا أرادوا أن يبدأو ماذا يقولون؟ يقولون: (ياغافل اذكر الله، وقل لا إله إلا الله، ولا في الملك غير الله) أليس يقولون ذلك؟، ويذكر نبيك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويتضرع ويبتهل، ويشاركه كذلك المرددون بالتوسل بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والصالحين من عباد الله، جعلنا الله وإياكم من الصالحين، وألحقنا بالصالحين.

الأدب السادس: أن تنوي الإغتسال للتوبة:

إذا توجهت قد تغتسل في النهر، اجعل لك نية في الغسل، انظر سنه لكل تائب إلى الله أن يغتسل، فأنت إنو

الإغتسال للتوبة، كما يتطهر جسدك يتطهر فؤادك وقلبك، فهو محلٍّ نظر الله جلَّ جلاله. ثم لا تظهر عورتك وأنت تغتسل، أنت جئت من أجل الثواب، ثم بعد ذلك ترتكب المخالفة..!، ما بين السرة والركبة عورة، النبي صلى الله عليه وسلم يلعن كاشفي العورات، ويحرم النظر الى العورة، وصح في الحديث قوله: «غط فخذك فإن الفخذ عورة»، فما بين السرة والركبة استره سواء كنت تغتسل في النهر أوغيره.

* * *

معنى قولهم: (الضحكة في هود بتسبيحة)

ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أورده السيوطي في الجامع الصغير يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «مزاح المؤمن في السفر عبادة».

هذا معنى ضحكة بتسبيحة، مزاح المؤمن في السفر عبادة، لأنه ينشط ويخفف أعباء السفر وثقله، وليس معنى هذا أن تضحك بالحرام، لا. الضحك بحرام لا يكون عبادة، إذا كان ضحك بحلال ومباح فلا بأس بإستعمال المزاح، وقد استعمل المزاح النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع اصحابه.

يمازح الصحب وقت المزح معتدلاً   في المزح من غير ما إيذاء ولا كذب

لا يكذب في المزح، ولا يؤذي بمزحه أحد، ولا يجوز المزاح بإيذاء ولا بكذب. فإذا أردت المزاح فامزح من دون أن تروع مسلماً أو تخوفه، لأنه ورد في الحديث: «من روَّع مسلماً لم يؤمن الله روعته يوم القيامة». وهكذا كن على خوف من ترويع قلوب المسلمين بأي شيء، فلا تمزح بترويع مسلم، ولا بكذب أو إيذاء لمسلم، فامزح مثل مزاحه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

مثال ذلك: ما ورد أنَّ إمرأة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له: يارسول الله زوجي قال لي كذا وكذا، قال: ذاك الذي بعينيه بياض، قالت: زوجي ليس في عينيه بياض يا رسول الله، فضحك صلى الله عليه وسلم وقال: (ما من أحد من الناس إلاَّ وفي عينيه بياض). صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله. وهو كلام صدق.

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: يا رسول الله احملني، أريد أن أسافر فاعطنا مركوب، فقال له: نحملك على ابن الناقة، فقال: يارسول الله تريد أن تحملني

على ابن الناقة، فقال عليه الصلاة والسلام: وهل يلد الجمل إلا الناقة، الجمل الكبير هو كذلك ابن الناقة.

ويأتي إليه بعض الصبيان وهو يغتسل في أيام الحر بالمدينة، فينفخ الماء من فمه في وجوههم فيقوم الحسن والحسين فيقول: (تسابقا إليَّ)، فيتسابقان إليه حتى يسبق السابق منهم فيحمله على كتفه صلى الله عليه وسلم ويجلس بينهم.

هذا المزاح الذي فيه الإستقامة على الشرع دون الخروج عن أدب الشرع، ولا كذب، ولا إيذاء لمسلم... وهكذا مزاح الصالحين، وهكذا المزاح المباح للمؤمن، والمزاح الذي يكون في السفر عبادة.

* * *

معنى قولهم: (ما يرغب في زيارة نبي الله هود إلاّ سعيد، ولا يخذل عنها إلاّ شقي)

هذا مقتضى النصوص القرآنية، وهذا مقتضى الأحاديث النبوية وما دعا إليه الله ورسوله من إجتماعات المسلمين، من ذكر لله، من تعلم، من تزاور... الداعي إلى ما دعا إليه الله

ورسوله سعيد أم شقي . . ؟ سعيد . والمخذّل عمّا دلنا عليه الله ورسوله سعيد أم شقي . . ؟ شقي .

إذا كان المعرض عن ذكر الله فيه الشقاء : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ فكيف بمن يقول هذا بدعة ويخذل أليس هذا شقا . . !؟ ، هذا بمجرد إعراضه يحشر أعمى يوم القيامة فهو في هذه الدنيا أعمى ، وهل يوجد شقا فوق هذا العمى . . !؟ ، فكيف إذا لم يكتف عن الإعراض وقام يخذّل عن مجالس ذكر الله ، ويحذّر من مجالس ذكر الله ، أليست شقاوة . . !؟ هي الشقاوة بنص القرآن . . وهي شقاوة بمادل عليها كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال في القوم الذين يجتمعون على الذكر : «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» لا يشقى جليسهم ، فمقاطعهم ومحاربهم يشقى .

إذا كان جليس أولئك القوم لا يشقى ، فمحاربهم ومضادهم من غير شك هو الشقي .

إستعداد أهل تريم للزيارة

عندما يدخل شهر رجب تبدأ الإجتماعات التي يحضرها العلماء والتي يرغبون فيها في زيارة هذا النبي الكريم وعدم التخلف عنها، وتنشد في هذه المجالس الأشعار التي تحث الناس على حضور هذه الزيارة وعدم الإلتفات إلى قول الحساد الذين يخذلون عنها، ومن تلك الأشعار قول سيدنا الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي :

يأذا البريـــق الشـــرقـي   اللي تَنَمْنَمْ من قَدا قبر هـود

نبـــي رب الخـــلق   صلى عليه الله نعم الودود

ويقول في أثنائها :

هـــود النبـــي المرســل   في وادي الأحقاف قبره صـحيح

سر زره واحـذر تكسـل   واطلب مرادك منه حول الضريح

ويقول في قصيدته الأخرى :

طـوبى لمن زار ذا الرسول   يعطيـه مـولاه كل ســول

يُكفى المضـرات والمهـول   والســر يلقـاه في اللحـود

كـم جمـــلة اخيــــار   وبحـور وانوار جميعهم زار

ضـــريح قبر النبي هـود   فســر إليـه واترك القعــود

فيستعد الإنسان لهذه الزيارة قبل الذهاب إليها بتجديد التوبة، وصلة أرحامه ن كان مقصراً في حقوقهم، وقضاء الدين، حتى لا يذهب إلى تلك المواطن الشريفة إلاّ وهو مستعد لإستقبال النفحات والعطايا والهبات من رب البريات.

وبعد إنتهاء كل مجمع من هذه المجامع يعملون في ساحة ذلك المسجد الذي أقيم فيه المجمع ما يسمونه بالتهاويد؛ وهو عبارة عن ذكر الله، وذكر للرسول صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله ومدحه والصلاة عليه؛ حيث يقوم أحدهم ويقول مبتدئاً:

يا غافل اذكر الله * وقل لا إله إلا الله * ولا في الملك غير الله

أما بقية الناس فيقسمون إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة تقول بعد الأخرى: هود يا هود يا هود نبي... وهكذا في بقية الأبيات.

ثم يقسمون إلى عدة مجموعات كل مجموعة لها قائد يقودها، فينتظمون صفوفاً فيبدأ قائد كل مجموعة في شيء من التوسلات بالأنبياء أو بالصالحين وبقية مجموعته تتبعه، وهم

بعملهم هذا إنما يعبرون عن الفرحة التي ملئت قلوبهم بقرب هذه الزيارة، وهو من الأشياء المرغبة في الزيارة، والتي تحث الناس على اغتنامها وعدم تضييعها لما فيها من عطاء عظيم من المولى الكريم.

***

تحرك الزوار إلى شعب نبي الله هود عليه السلام

يبدأ تحرك الزوار في اليوم السادس أوالسابع من شهر شعبان وبعضهم قد يتقدم على هذا الموعد لكنهم قله، وعمل أهل تريم في رحلتهم هذه أنهم يبدؤنها بزيارة سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وغيره من أهل زنبل، ثم يرتحلون وفي الطريق ينزلون قرية عينات ويزورون فيها ضريح سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم با علوي، ويرتحلون منها وفي قرية قسم يزورون سيدنا الشيخ أحمد الشهيد بن الفقيه المقدم، ثم يواصلون سيرهم إلى ذلك الشعب المنور فيتوضؤون في النهر

ويدخلون ذلك الشعب وهم مبتهجين فرحين يقول قائلهم :

دخلنا الشعب والشعب فيه النور ياضي

وفيه هود النبي لي على الزوار راضي

وغيرها من الأقوال التي تعبر عن فرحتهم الكبيرة بتوفيق الله لهم بالوصول إلى هذا المكان المبارك .

* * *

ترتيب الزيارات

أما عن ترتيب الزيارات العامة فإنه في **اليوم الثامن** من شهر شعبان تقام زيارتان ، الأولى منهما : وقت الضحى وهي لآل الحبيب الحبشي بالحوطة ؛ نسبة للحبيب أحمد بن زين الحبشي . والثانية : عصر هذا اليوم وهي لآل الحبيب الحبشي بسيؤون ؛ نسبة للحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه .

أما أهل تريم فإن زياراتهم تبدأ في **اليوم التاسع** ولهم فيه زيارتان نهاراً، الأولى منهما : لآل بلفقيه ؛ نسبة للحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه المشهور بعلامة الدنيا . والثانية : لآل

الحداد؛ نسبة للإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد. وعصر ذلك اليوم زيارة الحبيب حامد بن عمر حامد با علوي.

وفي **اليوم العاشر** تقام زيارتان، الأولى: لآل بن شهاب؛ نسبة للحبيب أحمد شهاب الدين. والثانية: هي أكبر زيارة وهي زيارة آل الشيخ أبى بكر؛ نسبة لسيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي، وفي هذه الزيارة ترى ذلك المظهر المثير والجموع الكثيرة التي تحضرها حتى إنك لا ترى في ذلك اليوم موضعاً من الشعب خالياً من الناس.

أما **بين العشائين** فإنه في الأيام الأولى من الزيارة بعد صلاة المغرب يسلمون على نبي الله هود وعلى اخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين وعباد الله الصالحين، ثم يجلسون ويقرؤون سورة هود، ثم يقرؤون راتب سيّدنا الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله تعالى عنه.

أما في ليلتي الزيارة العامة وهي مساء التاسع والعاشر فهم يقرؤون مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يقوم عالم من العلماء يتكلم ويذكر الحاضرين بأمور دينهم ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة.

طريقة الزيارة

أما طريقة الزيارة فإنهم في كل زيارة يخرجون إلى النهر فمنهم من يغتسل ونعمَّ هو، ومنهم من لا يستطيع الغسل خصوصاً في أيام الشتاء فيتوضأ، ثم يصعدون إلى الحصاة التي كان سيدنا الشيخ عمر المحضار يركع فيها وقد وقفها مسجداً فيركعون ركعتين، ثم يتوجهون إلى قبر نبي الله هود ويتقدمهم منصب القبيلة التي هي زيارتها وفي طريقهم يأتون بالباقيات الصالحات، فإذا وصلوا إلى البئر المسماة بئر التسليم يسلمون فيها على نبي الله هود وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، ثم يواصلون سيرهم إلى قبر النبي فيسلمون عليه، ثم يقرؤون سورة يس، وبعد الإنتهاء منها يخرجون من عند القبر إلى تحت الحجرة الكبيرة المسماه بالناقة، ويقولون في الطريق:

إن قيـــل زرتم بما رجعتم ... يا ســيد الرســـل ما نقول

قولوا رجعنـــا بكـل خير ... واجتمع الفرع والأصـول

فيجلسون تحت الناقة ثم يبدؤون في أناشيدهم، ثم يقوم الوعاظ من العلماء ليذّكروا الناس ويعلموهم تعاليم نبيهم المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ويحثوهم على الإستمساك بمنهجه والإعتصام بحبل الله تعالى.

هذه هي المجالس العامة التي كانت ولا زالت تعقد في هذا الشعب المبارك في موسم الزيارات، وقد أضيفت إليها مجالس عظيمة النفع، من هذه المجالس الجلسة التي يعقدها الحبيب العلامة الداعية عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ في مسجد باعباد كل ليلة بعد صلاة العشاء، والتي يحضرها الجمع الكبير من الناس حيث يلقي فيها المنهج والسلوك والطريق التي ينبغي أن يسلكها المسلم في واقعه المعاصر، إضافة إلى توجيه همم الحاضرين إلى مهمة القيام بأمر الدعوة ونشر تعاليم الإسلام وأخلاقه في كل أصقاع الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم بعد هذه الجلسة ينصرف الحاضرون إلى مواقعهم التي يجلسون فيها حيث يتسامرون فيما بينهم حتى يحين وقت نومهم.

وقد نظم الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف طريقة الزيارة فقال في أثناء قصيدة له:

وسلم إذا ما زرته متأدباً

على الأنبياء أهل العلا والتفضل

وأقصد غدير الماء واغتسل وصل

وسبح وحمد ثم كبِّر وهلل[1]

إلى البئر تلك الحيد سلم بها وعج

إلى ذلك القبر المنيف المجلل

ورد السلام اعني الذي قد ذكرته

لدى البئر عند القبر مع سورة تلي

* * *

ولصلة البحث بزيارة القبور وشد الرحل إليها والزوبعة المثارة حول ذلك إليك هذا المبحث:

---

(١) وهي المشار اليها مسبقاً بالباقيات الصالحات (أنظر كيفية الزيارة).

زيارة القبور وشد الرحل إليها

إعلم أخي المسلم أن زيارة الأموات من المؤمنين فضلا عن الأنبياء المرسلين قربة إلى رب العالمين، وهي مندوبة بإجماع المسلمين. قال صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكركم بالآخرة، وتزهدكم في الدنيا).

وروى سليمان بن بردة الأسلمي رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر كيف يقولون).

فهذا دليل على مشروعية زيارة القبور مطلقاً، وقد زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنبياء ليلة أسري به في قبورهم؛ وجبريل عليه السلام أمامه يدله عليها، وكان يأمره بالنزول من فوق مركوبه والصلاة عند قبر كل نبي عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: (مررت ليلة أسري بي على موسى وهو قائم يصلي في قبره).

وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج آخر كل ليلة إلى البقيع فيقول: السلام عليكم ثم يدعو بكل خير).

(وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد في رأس كل عام).

وقد روى الحاكم: (أن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها الحمزة كل جمعة)، وانظر هنا أن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها التي تلقت علمها من أبيها عليه الصلاة والسلام؛ كانت تزور عمها الحمزة كل جمعة، وليس هذا تخصيصاً بل هو من ترتيب أوقات العبادة وهو مطلوب شرعاً.

لذلك فإن زيارة نبي الله هود التي تعقد في شعبان لم يكن فيها أي تخصيص كما تروجه ألسنة الجهلة بل هو من ترتيب أوقاتهم للعبادة، فلو كان تخصيصاً لما أجازوها في غير هذا الشهر، والمعروف أن كثيرا منهم يزورونه في غير هذا الوقت، إذن فلا إشكال في ذلك سوى أن هناك جهلاً سموه علماً.

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وبعد أن اتضح ذلك نعطيك الفهم السليم لحديث النبي الكريم: «لا تُشَدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[1].

يخطئ كثير من الناس في فهم هذا الحديث فيستدلون به على تحريم شد الرحل لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين، ويعتبرون أن السفر لذلك سفر معصية، وهذا الإستدلال مردود لأنه مبني على فهم باطل، فالحديث كما سترى في باب، والإستدلال في باب آخر.

وبيان ذلك هو: أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» جاء على الأسلوب المعروف عند اللغويين بإسلوب الإستثناء، وهذا يقتضي وجود مستثنى ومستثنى منه، فالمستثنى هو ما كان بعد إلاّ، والمستثنى منه هو ما كان قبلها، ولا بد من الأمرين إما وجوداً أو تقديراً، وهذا مقرر ومعروف في أبسط كتب النحو.

وإذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدنا أنه قد جاء فيه التصريح بذكر المستثنى وهو قوله: «إلى ثلاثة مساجد»، وهو ما بعد إلاّ،

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه وهو في الصحيحين وعن أبي هريرة نحو ذلك.

ولم يأت ذكر المستثنى منه وهو ما قبل إلاّ، فلابد إذن من تقديره.

فإذا فرضنا أن المستثنى منه «قبر»، كان اللفظ المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلى قبر إلاّ ثلاثة مساجد، وهذا السياق ظاهر في عدم الإنتظام وغير لائق بالبلاغة النبوية، فالمستثنى غير داخل ضمن المستثنى منه، والأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

ولا يطمئن قلب عالم يتحرج من نسبة كلام للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يقله؛ إلى نسبة لفظة «قبر» وهي لا تتفق مع الأصل في الإستثناء فلا تصلح أن تكون هي المستثنى منه.

فلنفرض أنها لفظ مكان فيكون السياق المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الفرض: «لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى ثلاثة مساجد» ومعنى هذا أن لا تسافر إلى تجارة أو علم أو خير وهذا ضرب من الهوس ظاهر البطلان، ولذلك فلا بد من تقدير المستثنى منه بإتفاق أهل اللغة، وتقديره لا يحتمل إلاّ ثلاثة وجوه لا رابع لها:

الوجه الأول: أن يكون تقديره بلفظ قبر:

فيكون اللفظ المقدر حينئذ : « لاتشد الرحال إلى قبر إلا ثلاثة مساجد » وهذا التقدير مبني على رأي من يستدل بالحديث على منع السفر للزيارة وأنت ترى أنه تقدير بارد لايستسيغه من عنده أدنى إلمام بالعربية ولاتليق نسبته إلى أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه فحاشاه أن يرضى بمثل هذا الأسلوب الساقط .

الوجه الثاني: أن يكون تقديره بلفظ عام وهو لفظ مكان:

وهذا باطل كما تقدم بلا خلاف ولا قائل به .

الوجه الثالث : أن يكون تقديره بلفظ مسجد :

فيكون سياق الحديث بلفظ : «لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد»، فنرى أن الكلام قد انتظم وجرى على الأسلوب اللغوي الفصيح في هذه الصورة، وأشرقت فيه روح النبوة، ويطمئن القلب التقي إلى نسبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا بفرض أنه لا توجد رواية أخرى مصرحه بالمستثنى منه، فإذا وجدت هذه الرواية فلا يحل لمن له دين أن يعدل عنها إلى محض فرض لا يستند إلى فصيح اللغة .

وقد وجدنا بحمد الله في السنة النبوية من طريق الروايات المعتبرة ما فيه التصريح بالمستثنى منه، فمنها ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا خاتم الأنبياء والمرسلين، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار وتشد إليه الرواحل: المسجد الحرام، ومسجدي صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلاّ المسجد الحرام».

فكلامه صلى الله عليه وسلم في المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هذه المساجد الثلاثة متساو في الفضل فلا فائدة بالتعب بالسفر إلى غيرها، أما هي فلها مزيد فضل ولا دخل للمقابر في هذا الحديث، فإقحامها في هذا الحديث يعتبر ضرباً من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا مع ان الزيارة مطلوبة وهو عليه الصلاة والسلام يندبنا إلى زيارته خاصة فيقول في الحديث الذي رواه البزار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

ويندب إلى زيارة القبور عامة في قوله عليه الصلاة والسلام: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . . .» الحديث المتقدم [١] .

وقد سئل الإمام ابن حجر عن زيارة قبور الأولياء في زمن معين مع الرحلة إليها هل يجوز إذا احتمل عند تلك حصول مفاسد كإختلاط النساء بالرجال ؟ .

فأجاب : زيارة قبور الأولياء قربة مستحبة وكذا الرحلة إليها ، وما أشار إليه السائل من تلك البدع فالقربات لا تترك لمثل ذلك ، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع وإزالتها إن أمكنه .

وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب أنه يفعله ولو مع وجود النساء وكذلك الرمل ولكن أمروه بالبعد عنهن فكذا الزيارة يفعلها ويبعد عنهن .

وقد حضر الحسن البصري وابن سيرين في بعض الجنائز وكان فيه لغط فأراد ابن سيرين أن يرجع فقال له الحسن : (لو كلما رأينا بدعة تركنا سنة لقد تركنا سنناً كثيرة) .

---

(١) نقل مع بعض الإختصار والتصرف من كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) للعلامة السيد محمد بن علوي المالكي (ص ٢٥٩) .

التبرك بآثار الأنبياء والصالحين

وما دمنا قد تحدثنا عن استحباب زيارة قبور المؤمنين عامة والأنبياء خاصة، فنسوقك الآن أيها القارئ الكريم إلى مسألة التبرك لأنها الإشكال الذي ما زال يلازم البسطاء من الناس، فنقول:

أنه قد ثبت في صحيح السنة التبرك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة المسلمين.

فعن جعفر بن عبد الله الحكم أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: (اطلبوها) فوجدوها، فإذا هي قلنسوة خلقة -أي ليست بجديدة- فقال خالد: (اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلق رأسه، فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناحية فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلاّ رزقت النصر)[1].

وروى مسلم من حديث أنس: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر

---

(١) قال الحافظ الهيتمي: رواه الطبراني وابو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح.

وقال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس).

وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب: أنه بلغه أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه الشريف يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه، ولاح أي ظهر محل الجرح بعد المص أبيض!، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: مُجَّه. فقال: ولا أمجه أبداً ثم ازدرده -أي ابتلعه-، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فاستشهد بأحد» رواه الطبراني. وفيه قال صلى الله عليه وسلم: «من خالط دمي دمه لا تمسه النار». قال الهيثمي لم أر في إسناده من أجُمع على ضعفه. وروى سعيد بن منصور أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من سره أن ينظر إلى رجل خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان».

وقد نقل الحافظ العراقي في (فتح المتعال) بسنده: أن الإمام أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبركاً.

وقد ورد أن الإمام أحمد بن حنبل تبرك بالشرب من ماء غسل قميص الإمام الشافعي.

وفي تاريخ الخطيب أن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر الإمام أبي حنيفه مدة إقامته بالعراق، كما صح عنه أنه كان يتبرك بغسالة قميص الإمام أحمد، فكان يأخذ منها ما يمسح به وجهه وأعضائه؛ كما ذكره أصحاب الطبقات وغيرهم.

كما ورد أن بلالاً مرّغ خديّه على عتبات الحجرة النبوية باكياً بين يدي الصحابة رضي الله عنهم يوم عاد من الشام إلى المدينة، ثم لم يرد أن أحداً من الصحابة أنكر عليه ولا على فاطمة فيما ورد عنها من التبرك بتربة القبر الشريف.

* * *

مسألة الإنشاد والقصائد والموشحات

وإن كنت تسأل عن ما ينشد من الأشعار في الجموعات التي تعقد سواءً كانت في المساجد وغيرها فننقل إليك جواب الإمام الحداد لسؤال أحمد بن محمد الغشم الزيدي لما سأله عن

جملة مسائل منها قوله:

ما قولكم في هذه الجموع التي نراها في مساجدكم تنشد فيها الأشعار الغزلية بالنغمات الطيبة والألحان الموزونة ؟.

فأجاب رضي الله عنه ونفع به:

(إعلم أنها ليست عندنا من الذكر ولا هي مثله، ولكنها شيء مباح وتركها أفضل، وقد أنشد الشعر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وربما تمثل بالبيت والبيتين منه، وأنشد في المسجد بحضرته أنشده حسان وغيره، ويثبت الجواز بمرة إذا لم يقع النهي عنه، وهو وإن كان لم ينشد عند رسول الله بالألحان فإنه مهما صح إنشاده بدونها لم يحرم إنشاده بها، حتى يدل على تحريمها دليل من السنة ولم يرد ذلك، وبعض الفضلاء الأخيار العارفين بالزمان وأهله وما هم عليه من الكسل عن العبادة وقلة الرغبة في الخير يرى أن جمعهم على الذكر لله مع إدخال شيء فيه من الأشعار الصحيحة المعاني والمباني مما لا بأس به، لأن للنفوس ميلاً إليها، فيقودهم بواسطة ذلك إلى الإجتماع على ذكر الله ولكل امرئ ما نوى، و والمطلع على السرائر هو الله سبحانه وتعالى ومن ساء ظنه وخبثت طويته رأى الحسن قبيحاً،

ولا أقل من الإنصاف . . ولا أقل من التوقف في مواطن الإشكال . . ومن لا يعرف الحق وجب عليه معرفته من أهله، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو رد، وكل ما خالف هدي السلف الصالح فهو شر إن كانت المفارقة على سبيل المضادة والمعاندة، وإلاّ فالحق واسع، والجواز غير الفضيلة، وليس الجائز كالمندوب، ولا المندوب كالواجب، ونحن على بصيرة من أمرنا، وهدي من ربنا، وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا، ولسنا جاهلين بأمر الدين، ولا مبتدعين فيه، ولا متبعين الأهواء المضله، ولا متحكمين بعقولنا في دين الله، ونقبل الحق ممن جاء به، ونرجع إليه ولا نكابر ولا نقلد الرجال، فافهم ما ألقيناه إليك وأمليناه عليك من الجواب على مسألتك، فإنه ما من كلمة من الكلام الذي أوردناه إلاّ وعندنا لها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أئمة الهدى أدلة واضحة حذفناها اختصاراً، وخير الكلام ما قل ودل، ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

فإن كنت لا تعتقد أن الحق مقصور على مذهبك فللكلام معك فوائد، ولأجلها وعلى رجاء حصولها أجبناك؛ منها: أن لا تعتقد خلو هذه الجهة عن من يعرف الحق، ويقدر على التعبير عنه، ويناضل عنه، ويدافع من حاد عنه بلسانه وسيفه وسنانه وأنصاره وأعوانه حسب إستطاعته وإمكانه، ولن يذم بالعجز والقصور من بذل الإستطاعة واستفرغ الطاقة.

ومنها: أنك أقمت بهذه المدينة (أي تريم) مدة فتزعم أنك تحبها وتحب أهلها، وقد حان مفارقتك إياها؛ فلا ينبغي أن تسير منها منطوياً على سوء الظن بأهلها لما رأيت منهم بزعمك، وهم أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى وفرض عليك وعلى سائر المسلمين مودتهم وموالاتهم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)[1].

(١) كان املاء هذا الجواب يوم الإثنين الرابع من جمادي الأولى سنة ١٠٧٢هـ اهـ ملخصاً.

فهذه المسائل التي أوردناها لم يكن فعلها مكروهاً فضلاً عن أن تكون محرمة فضلاً عن أن تكون شركاً والعياذ بالله.

كيف والجزيرة العربية كلها منزهة عن الشرك الأكبر بعد بيان النبي لذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الإمام البخاري ومسلم: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

وقال الإمام العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ؛ في شرحه لهذا الحديث قوله: والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي.. الحديث صريح في أن أمته عليه الصلاة والسلام لا تشرك بالله شيئا بعد إيمانها، وأنه لا يخاف عليها ذلك، وإنما يخاف عليها التنافس في الدنيا وهو عين الواقع في هذه الأمة الآن، لأنها ولله الحمد بعيدة من الشرك بعد الشمس من اللمس، وأما التنافس في الدنيا فهي في غاية من شدته، أما دعوى الشرك عليها فمحض كذب لا دليل عليه،

وظاهر هذا الحديث أعظم برهان على تكذيبها وحمل آيات القرآن الواردة في المشركين عليها من تحريف الكلم عن مواضعه[1].

(١) انظر كتاب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم للعلامة الإمام محمد حبيب الله ابن أحمد المشهور بأبي الجنكي اليوسفي المالكي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ (ص ٢٠٣ ج١ السطر ١٥).

الخَــاتِمَة

وبعد أن أعطينا هذه الصورة التي نرجوا من الله أن تكون بيّنة وواضحة في إثبات وجود قبر سيدنا هود عليه السلام في هذا الموطن المتعارف عليه نقلاً من كلام العلماء الأجلاء والمؤرخين، ثم حديثنا فيما ألحقناه حول زيارة القبور وشد الرحل إليها، وحول مسألة التبرك؛ زال الغبار الذي غطى بعض العقول لجهل اتصفوا به. فعرفت بعد ذلك معرفة لا يصاحبها ريب أو شك في أن العلماء الأجلاء لا يعبدون الله على وهم أو خيال، بل هي حقائق مثبتة عندهم وأدلة مبسوطة لديهم قبل أن نعرفها وبعد أن عرفناها، فهم المؤتمنون على شرع الله تعالى في علاه.

ولكن المشكلة هي ألسنة الجهلة الذين طابت نفوسهم بالإنكار دون أي مستند أو دليل، بل جهل مركب سموه علماً، فما يزالون في دائرة الوهم والخيال، حرمهم من معرفة الحقيقة وإستنشاق شذاريّاها ما تكنه نفوسهم من أمراض خبيثة ستروها عن أعين الناس، فبمقياسهم جعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً والعياذ بالله. لذلك فلا ينبغي أن يسلط أحد منا لسانه على

الإنكار والشتم، بل الواجب إن كان أحدٌ لا يريد الذهاب إلى هذه المواطن فلا يفعل ذلك وليس عليه وزر سوى أنه حرم نفسه من مواطن التصفية والتنقية والإرتقاء وما فيها من حبل الصلة بحبيب الله المصطفى، ولو عرف ذلك لأتاها سعياً على العين سائراً، ومن أبعد نفسه عن هذه المواطن حجبها وأساء إليها.

ظلمت وما إلاّ لنفسك يافتى ظلمت وظلم النفس من أقبح الظلم

وهنيئا للذين شدوا رحلهم قاصدين هذه المواطن التي فاضت رحابها بالوافدين، وتعطرت شعابها بأنفاس العابدين الركع الساجدين، ودنت الأرض من السماء، والتقى الصفاء بالصفاء، وخشعت القلوب وعنت الوجوه للحي القيوم فلا تسمع إلا هاتفاً بدعاء، ومسبحاً بنجوى، ومتعطراً بطاعة المولى جل وعلا. إضافة إلى أنها مواطن الإخاء والعلم والدعوة وتزاور الوافدين من مختلف البلدان الإسلامية، جمعتهم الكلمة الواحدة والمبدأ الواحد، يحيون في النفوس محبة حبيب الله وسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ويلفتون أنظارهم إلى مهمة القيام بأمر الدعوة في واقعهم المعاصر والصبر على تحمل

الأعباء وهي عين الرسالة المحمدية والطريقة المصطفوية . .

فليس على الزيارة غبار ؛ سوى عقول من العلم فرت ، وعن مواطن التطهير أعرضت .

والله حسبنا ونعم الوكيل .

الفهرس